الإعداد الاجتماعي للدعاة وأثره في الدعوة إلى اللّه

إعداد

د. محمد هلال الصادق هلال

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

من ١٢١٧ إلى ١٢٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن الدعوة إلى الله – تعالى – وظيفة الأنبياء والمرسلين، وكل من ينخرط في ميدانها، ويسلك سبيلا من سبلها، مخلصا النية لله رب العالمين، ينال الشرف والأجر والمكانة التي نص عليها في كتاب الله الكريم بقوله – جل وعلا –: (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين). (١)

وبيَّنها نبينا – صلى الله عليه وسلم – في حديثه الشريف بقوله: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) (٢)، وقوله – صلى الله عليه وسلم – لسيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: (فو الله لَأَن يهدي الله بك رجلاً واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم). (٣)

ولأن رسالة الدعوة جليلة، فقد اصطفى الحق – تبارك وتعالى – خيرة خلقه من الأنبياء والمرسلين لحمل لوائها، وعهدَ إليهم بموقع القيادة والقدوة في ميدانها، اصطفاهم، واجتباهم، وصنعهم على عينه، وأمَدَّهم بمدد من عنده، وتوالت التوجيهات الربانية تترا، قال – سبحانه –: (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير). (٤)

---

(١) سورة فصلت، الآية رقم ٧٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – في كتاب (العلم) باب (من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة) حديث رقم (٢٦٧٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن سهل بن سعد – رضي الله عنه – في كتاب (الفضائل) باب (فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) حديث رقم (٢٤٠٦).

(٤) سورة الحج، الآية رقم ٣٣.

في هذه الآية الكريمة " يخبر – تعالى – أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره، ومن الناس لإبلاغ رسالته، {إن الله سميع بصير} أي سميع لأقوال عباده، بصير بهم، عليم بمن يستحق ذلك منهم ". (١)

إن نجاح أي عمل يستلزم الإعداد له إعدادا يتناسب مع مكانته وأثره، والدعوة إلى الله لا ينافسها عمل آخر في مكانتها وعظيم أثرها في الدنيا والآخرة.

ومن هنا كانت الحاجة ماسَّةً وملحَّة لتناول موضوع إعداد الدعاة بين الحين والآخر، تناولا شاملا لكافة جوانب الإعداد؛ تذكيراً بأهمية إعدادهم باعتبارهم العنصر الفعال والمؤثر في الدعوة إلى الله، ومتابعةً لما تم إنجازه من توصيات سابقة خاصة بهذا الموضوع، ومواكبةً للمستجدات التي ينبغي أن يواكبها الدعاة إلى الله تعالى، وتراعيها المؤسسات الدعوية في عملية إعداد الدعاة.

يقول الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله –: " إن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة، وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض، وأثر الشعاع في المكان المتألق، والأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموفقين، ومن ثمَّ فإن سبيل النهضة الناجحة لا يتمهد إلا إذا استطعنا بناء جماعات من الدعاة تكون بمثابة طلائع من النور في أمة طال عليها الليل، وبوادر اليقظة في أمة تأخر بها النوم ". (٢)

إن الاهتمام بإعداد الدعاة ينبغي أن يتناسب مع جليل رسالتهم، وعظيم آثارهم، " فالداعية هو العامل الفذُّ الذي ينفرد بالتأثير والتوجيه في عملية الدعوة، إذ لا يشاركه في ذلك – عادة – منهج موضوع ، ولا كتاب مقرر، ولا جو، ولا إدارة، ولا توجيه، كما هو الحال في مؤسسات التربية والتعليم.

فالداعية وحده – في غالب الأمر – الإدارة والتوجيه، والمنهج والكتاب، والمعلم، وعليه وحده يقع عبء هذا كله.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣ / ٣٧٧.

(٢) انظر: مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، للشيخ محمد الغزالي، صـ ٦ ، ٧.

وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة، وإعدادهم الإعداد المتكامل، أمرا بالغ الأهمية، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق، في الداخل والخارج؛ لأن شرطها الأول لم يتحقق، وهو الداعية المهيَّأ لحمل الرسالة ". (١)

إن كل نبتة دعوية تحتاج إلى رعاية ومتابعة وتوجيه. أثاب الله من رعاها ، وثبَّت على طريق الدعوة خطاها.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي يتناول جانبا مهما من جوانب إعداد الدعاة إلى الله تعالى، وهو جانب الإعداد الاجتماعي، وقد جعلته بعنوان (الإعداد الاجتماعي للدعاة وأثره في الدعوة إلى الله)، والله أسأل أن يجعله صالحا، ولوجهه خالصا... آمين.

ويتناسب مع موضوع البحث استخدام المنهج الوصفي التحليلي.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

- المقدمة: وتتضمن بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث وخطته.
- التمهيد: التعريف بمفردات عنوان البحث.
- المبحث الأول: الإعداد الاجتماعي للدعاة إلى الله تعالى.
- المبحث الثاني: أثر الإعداد الاجتماعي للدعاة في الدعوة إلى الله تعالى.
- الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

التمهيد

التعريف بمفردات عنوان البحث

- (الإعداد):

في اللغة: مصدر للفعل (أَعدَّ)، يقال: أعدَّ يُعدُّ إعْداداً فهو (مُعدٌّ)، والمفعول (معدٌّ). ويقال : أعدَّ الشيء: جهَّزه، حضَّره، هيَّأه، كَوَّنَه. وأعدَّ للأمر عَدَّتَه: تهيَّأ له واستعد. وأعدَّه لأمرٍ ما: هيَّأه له وحضَّره . وفي القرآن الكريم يقول الحق – جل وعلا –:

---

(١) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، صـ ٤.

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ... الآية) [١]، والعدَّة: ما أُعدَّ لأَمر يحدث مثل الأُهْبَة، يقال: أَعددت للأَمر عدَّته.[٢]

وفي الاصطَلاح: يمكن تعريف الإعداد تعريفا يرتكز على المعاني اللغوية السابق ذكرها بأنه (أخذ العدَّة اللازمة للقيام بمهمة ما) وكل مهمة لها عُدَّتُها التي تتناسب معها.

- (الاجتماع) :

في اللغة: مصدر للفعل (اجتمع)، يقال: (اجتمع القوم) اجتماعا: انضم بعضهم إلى بعض، قال – تعالى –: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)[٣]، (ومجتمع) اسم فاعل، وجمعه (مجتمعون) كما في قوله – تبارك وتعالى –: (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) .[٤] [٥]

وفي الاصطلاح: عرِّف المجتمع بأنه" مجموعة من الأفراد تربط بينهم روابط مشتركة ، وتنظم علاقاتهم الداخلية والخارجية مجموعة من المعايير المعترف بها فيما بينهم ".[٦]

وبناء على هذا التعريف يكون المجتمع الإسلامي هو (المجتمع الذي يترابط أفراده بروابط إسلامية، وتنتظم علاقاتهم الداخلية والخارجية حسب مجموعة من المعايير المستمدة من الدين الإسلامي) .

فالاجتماع التقاء عدد من الأفراد الذين تربطهم روابط مشتركة وتنظم علاقاتهم الداخلية والخارجية مجموعة من المعايير المعترف بها فيما بينهم. فعلاقة الإنسان بمن حوله تأثراً وتأثيراً تشكل الجانب الاجتماعي.

---

(١) سورة الأنفال، من الآية رقم ٦٠.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤ / ٢٨٣٤.

(٣) سورة الإسراء ، الآية رقم ٨٨.

(٤) سورة الشعراء، الآية رقم ٣٩.

(٥) انظر: لسان العرب، ١ / ٦٧٨؛ القاموس القويم للقرآن الكريم، إبراهيم أحمد عبد الفتاح ١ / ١٢٧، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

(٦) انظر: المجتمع الإسلامي المعاصر، محمد المبارك ص١٢؛ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي، ص٤٠.

ولا يستطيع عاقل أن ينكر" أن الاجتمع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم ". (١)

- (الدعاة):

(الداعي) في اللغة: اسم فاعل من الفعل (دعا)، يقال: دعا يدعو فهو داعٍ، ويقال: داعية (للمبالغة). (٢)

وأما في الاصطلاح: فقد عرف الداعي بتعريفات كثيرة متغايرة في اللفظ متقاربة في المعنى، ومن تلك التعريفات ما يلي:

* الداعي هو: (المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه) (٣)، " فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل ". (٤)

* الداعي هو: (المبلغ للدعوة، الحامل لأمانتها، الحريص على نجاحها). (٥)

* الداعي هو: (القائم بالدعوة، والمباشر لأدائها، والمزاول لمهامها، سواء كان متطوعا أو رسميا، فردا كان أو جماعة). (٦)

وغني عن البيان أنه لا قيام للدعوة بدون داعية يؤمن بها، ويتحمل أمانتها ومسؤولية تبليغها، راجيا عموم بركتها وانتشار خيرها. وعند ذكر بركة الدعوة وخيرها تتبادر الأذهان إلى دعوة الإسلام.

- (الأثر):

بالنظر في معاجم اللغة العربية يتضح أن لكلمة (الأثر) عدة معان، منها:

---

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، صـ٤٤.

(٢) انظر: لسان العرب، ٢ / ١٣٨٦.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، صـ ٤٠.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة، صـ ٤٠.

(٥) يسألونك في الدين والحياة، د. أحمد الشرباصي، ٦ / ٦٣٥.

(٦) المصطلحات الدعوية: تعريفات ومفاهيم، د. عبد الله بن محمد المجلي، صـ ٢٥٠.

١- النتيجة: وهي الحاصل من الشيء.

٢- ما يترتب على الشيء، وهو المسمى عند الفقهاء بالحكم.

٣- العلامة، وهي السمة الدالة على الشيء.

٤- بقية الشيء: وفي المثل: (لا تطلب أثرا بعد عين) يضرب لمن يطلب أثر الشيء بعد فوت عينه.

٥- الخبر المروي والسنة الباقية.

٦- ما خلفه السابقون.

وجمع (أثر): (آثار)، وهي اللوازم المعللة بالشيء.

وقد يطلق الأثر على الشيء المتحقق بالفعل باعتباره حادثًا عن غيره، وهو بمعنى ما مرادف للمعلول أو للمسبَّب عن الشيء. (١)

والمعنيان: (الأول والثاني) هما المرادان في هذا المقام، فالإعداد الاجتماعي للدعاة إلى الله – تعالى — يعدُّ سبيلا يصل الدعاة من خلاله إلى أثر محمود ونتيجة طيبة في الدعوة إلى الله تعالى.

- (الدعوة):

في اللغة: مصدر للفعل (دعا)، يقال: دعا يدعو دعوةً فهو داعٍ، ويقال: داعية (للمبالغة) ، والجمع : دعاةٌ وداعون ، مثل : قاض وقضاة وقاضون .

وبالنظر في المعاجم اللغوية يتضح أن لكلمة (الدعوة) عدة معان، منها:

١- النداء والطلب، يقال: (دعا الرَّجل): ناداه وطلب إقباله.

٢- الحث على قصد الشيء، يقال: (دعاه إلى القتال): حثه عليه، و (دعاه إلى الدين): حثه على اعتقاده. (٢)

---

(١) انظر: لسان العرب، ١ / ٢٥؛ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، صـ ٥.

(٢) انظر: لسان العرب، ١/٩٨٦،٩٨٧؛ المعجم الوجيز، صـ ٢٢٨.

وكل دعوة إلى دين أو مبدأ أو فكرة تحتاج من الداعي أن يتوجه إلى المدعو بالنداء طالباً منه الإقبال على اعتناق ما يدعو إليه، حاثًا إياه على الاستجابة والتلبية، مستخدما المتاح والمناسب في سبيل تحقيق ذلك.

وقد اكتفيت بهذين المعنيين لكونهما أقرب المعاني اللغوية صلة بالمعنى الاصطلاحي للدعوة.

ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر، كما في قوله – تعالى –: (أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ)[1]، وكل داعٍ يتميز بإضافته إلى ما يدعو إليه من خير أو شر. والاصطلاح أو المقام هو الذي يحدد المقصود من الدعوة.

وفي الاصطلاح: تعددت تعريفات الدعوة تبعا لتعدد رؤى الباحثين، وكل ما ورد من تعريفات للدعوة لا تخرج عن أحد مفهومي الدعوة: الدعوة بمعنى (الدين)، والدعوة بمعنى (البلاغ)، والعلاقة وثيقة بين المعنيين، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، والتلازم بينهما هو التلازم الذي بين الرسالة والرسول، فلا رسول بدون رسالة، والرسالة لا تصل ولا تثمر ثمارها بدون رسول صنعه الله على عينه واجتباه واصطفاه لتبليغ رسالة الحق إلى الخلق لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وقد وردت تعريفات كثيرة للدعوة بمعنى (الدين)، ومن هذه التعريفات أنها " برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ؛ ليبصروا الغاية من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين "[2]، ومن الملاحظ أن هذا التعريف يصلح تعريفًا للدين الإسلامي.

وكذلك وردت تعريفات كثيرة للدعوة تركز على الجانب التبليغي تطبيقًا، كما وردت تعريفات أخرى تركز على الجانب التبليغي علْمًا.

---

(١) سورة البقرة، من الآية رقم ٢٢١.

(٢) مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، صـ١٣.

فمن التعريفات التي ركزت على الجانب التبليغي التطبيقي للدعوة أنها " حثُّ الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل ". (١)

ومن التعريفات التي ركزت على جانب التبليغ كَعلْم أنها " العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بمَا حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق ". (٢)

ومن خلال التعريفات السالف ذكرها أستطيع أن أعرف الدعوة إلى الله – تعالى– بأنها (بذل كافة الجهود النظرية والتطبيقية الرامية إلى تبليغ الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى صراط الله العزيز الحميد).

المبحث الأول

الإعداد الاجتماعي للدعاة إلى الله تعالى

بعد البيان السابق لمفردات عنوان البحث في اللغة والاصطلاح أقول: إن المقصود بالإعداد الاجتماعي للدعاة إلى الله هو (تكوين الدعاة في الجانب الاجتماعي بما يؤهلهم للتواصل الاجتماعي الفعال والمثمر في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، ومتابعتهم للتقييم والتقويم).

وهذا الإعداد الاجتماعي للدعاة يرتكز على ثلاثة أمور:

الأول: دور المحيط الاجتماعي في إعداد الدعاة إلى الله تعالى.

الثاني: تزويد الدعاة بالعدة اللازمة للتواصل الاجتماعي الفعال.

الثالث: متابعة الجانب الاجتماعي في حياة الدعاة للتقييم والتقويم.

وستتضح هذه الأمور من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

دور المحيط الاجتماعي في إعداد الدعاة إلى الله تعالى

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ علي محفوظ، صـ ١٧.

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، د. أحمد أحمد غلوش، صـ ١٠.

إن المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه الداعي ذو أثر بالغ في تكوينه الدعوي إيجابا أو سلبا، دفعا للأمام أو تدهورا للخلف.

وأقرب الدوائر في المحيط الاجتماعي للداعي وأكثرها تأثيرا فيه ثلاث دوائر:

الدائرة الأولى: (الأسرة): التي تقوم بدور فاعل ومؤثر في الإعداد والتوجيه نظريا وتطبيقيا، " فأثر الوالدين في التربية عظيم، ودورهما في إعلاء همم الأولاد خطير وجسيم؛ فإذا كان الوالدان قدوة في الخير، وحرصا على تربية الأولاد، واجتهدا في تنشئتهم على كريم الخلال وحميد الخصال، مع تجنيبهم ما ينافي ذلك من مساوئ الأخلاق ومرذول الأعمال، فإن لذلك أثرا عظيما في نفوس الأولاد؛ لأن الأولاد سيشبون – بإذن الله – متعشقين للبطولة، محبين لمعالي الأمور، متصفين بمكارم الأخلاق، مبغضين لسفساف الأمور، نافرين عن مساوئ الأخلاق ". [١]

والواقع يؤكد أنه كلما كانت البيئة الأسرية مشجعة على العمل الدعوي كان لذلك أكبر الأثر في انطلاق الداعي في دعوته بإيجابية مؤثرة، وعلى سبيل المثال:

– مساندة الأسرة الإبراهيمية لخليل الرحمن إبراهيم – عليه السلام – ومعاونته لتنفيذ أوامر الله جل وعلا، فالزوجة هاجر – عليها السلام – تركها زوجها إبراهيم – عليه السلام – ورضيعها إسماعيل – ولده الوحيد الذي رزق به بعد أن بلغ من العمر مبلغا – في واد غير ذي زرع، ومعنى ذلك أنه لا ماء، لا إنسان، لا طير، لا حيوان، لا مجال للحياة، فقالت له: (آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا). [٢]

وولده إسماعيل – عليه السلام – يؤازر والده إبراهيم – عليه السلام – ويعينه على تنفيذ ما أمره الله به عندما رأى في المنام أن يذبحه، كما قال – تعالى –: (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر

---

(١) من مقال بعنوان (أسباب دنو الهمة) على موقع الدرر السنية.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (قول الله – تعالى –: واتخذ الله إبراهيم خليلا) حديث رقم (٣٣٦٤).

ستجدني إن شاء الله من الصابرين) [١]، وكذلك في رفع القواعد من البيت، كما قال – تعالى –: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم). [٢]

– مؤازرة هارون لأخيه موسى – عليهما السلام – استجابة لدعائه (واجعل لي وزيرا من أهلي . هارون أخي . اشدد به أزري . وأشركه في أمري . كي نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا . إنك كنت بنا بصيرا . قال قد أوتيت سؤلك يا موسى). [٣]

– موقف السيدة خديجة – رضي الله عنها – بل مواقفها في تأييد زوجها الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ومساندته في دعوته: ماديا ومعنويا، تَشَدُّ أزره، وتواسيه، وتقويه، وتثبته، وتأسو جراح نفسه، يعود إليها النبي – صلى الله عليه وسلم – مرتجفا عندما نزل الوحي عليه قائلا: لقد خشيت على نفسي، فترد عليه بما يطيب خاطره، ويهديء من روعه، : (كلا، أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبدا، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: أي عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله – صلى الله عليه وسلم– خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى صلى الله عليه وسلم، يا ليتني فيها جذعا، يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، قال رسول الله– صلى

(١) سورة الصافات، الآية رقم ١٠٢.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٢٧.

(٣) سورة طه، الآيات رقم ٢٩–٣٦.

الله عليه وسلم-: أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا). [١]

إن الأسرة المسلمة هي المصنع الأول للدعاة إلى الله بجميع أطيافهم، والأمر يحتاج إلى ذكر بعض النماذج من الدعاة والعلماء الذين أحاطتهم أسرهم بعنايتها ودفعتهم بكل قوة إلى ميدان العلم والفقه والدعوة.

يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم – في ثنايا حديثه عن نهضة المسلمين في القرون الأولى -: " نحن ننظر إلى النتائج ونغفل الأسباب، فنفخر بالشافعي، ونفخر بسفيان الثوري، ونفخر بالصحابة ونفخر بالمجاهدين والعلماء والمجددين وننسى من كان وراء هؤلاء. فهل هؤلاء خرجوا من فراغ؟ لا، بل هؤلاء كان وراءهم من يربيهم، كان وراءهم من يتعاهدهم منذ الصغر وهم أطفال، وصحيح أننا نتحدث عن عمر بن عبد العزيز وشخصية عمر بن عبد العزيز، لكن لا ينبغي أن نهمل التربية التي ترباها عمر بن عبد العزيز، كذلك حينما نتحدث عن الإمام الشافعي – وما أدراك ما الشافعي رحمه الله تعالى – فليس من الإنصاف أن نهمل من صنع الشافعي، الذي صنع الشافعي ورباه هي أمه التي اجتهدت جدًّا في تربيته ورعايته ودفعه إلى العلم.

لقد وثب المسلمون الأوائل وثبةً ملأوا بها الأرض قوةً وبأساً، وفطنةً وعلماً، فقادوا الأمم، وهابهم الملوك، وركزوا ألويتهم في قلب آسيا، وهامات أفريقيا، وأطراف أوروبا، وتركوا دينهم وشرعهم ولغتهم وعلمهم وأدبهم تدين لها القلوب وتتقلب بها الألسنة، بعد أن كانوا طرائق قدداً، لا نظام، ولا علم، ولا شريعة.

فمن أين تخرج الجيل الأول؟ في أي المدارس درسوا؟ ومن أي المعاهد خرجوا؟ لقد قطع المسلمون تلك المرحلة التي شهد لها الدهر ووجم لنوعيتها التاريخ ولم يبنوا معهداً ولم يبنوا جامعة ، بل كانت دورهم وقصورهم معاهد ومدارس ". [١]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها – في كتاب (الإيمان) باب (بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) حديث رقم (١٦٠).

وفي تاريخ الخطابة يذكر الباحثون مدى ازدهار الخطابة عند اليونان والرومان، والسبب في هذا الازدهار، فيقولون: " إن أول من دون علم الخطابة وجعل له أصولا وقواعد هم اليونان. وذلك لأن أهل أثينا في عصر بيركليس قويت فيهم الرغبة إلى القول واشتدت فيهم دواعيه، فأغرم الناس بالفصاحة وحب الكلمة وحسن الإلقاء، حتى كان الخطيب منهم يتولى أعلى المناصب، ويصبح في أرقى مكانة، وأفضل منزلة، وربما أثروا لأنهم ينالون من المآرب ما يرضيهم من المال؛ ليعاضدوا أحد الأحزاب، وقد نشطت الخطابة عند الرومان نشاطها عند اليونان، وأنشئت المدارس الخاصة بهذا الفن، وكانت في بدء أمرها لا تقبل إلا الشباب الأغنياء وأصحاب المكانة المرموقة، يرسلهم ذووهم ليتعلموا الخطابة وطريقة الأداء على يد أساتذة متخصصين في هذا الفن ". (٢)

وبهذا يتضح أن منح الدعاة المكانة اللائقة بهم، ومنحهم العطاء المادي الذي يفي بحاجاتهم، أسوةً ببعض الوظائف، يرغِّب الأسر ويشجعهم كي يضعوا أبناءهم على طريق الدعوة، حتى وإن كان ذلك رغبةً في عطاءات الدنيا، وبإذن الله تأبى الدعوة أن تكون إلا لله.

إن الأسرة المسلمة " يجب عليها أن توجِّه أبناءها منذ صغرهم إلى أنهم دعاة إلى الله — وهذا تشريف لهم منه سبحانه لكونهم مسلمين — وأن يمارسوا هذه الدعوة بمجرد التمييز والقدرة عليها في كل مجال من المجالات التي يتحركون فيها.

وعلى الأسرة المسلمة أن تبصر أبناءها بأن الدعوة إلى الله هي على وجه الإجمال:

- الدعوة إلى خير أو معروف.
- والدعوة إلى كل حق وعدل وإنصاف وعدل وإحسان.
- والدعوة إلى كل ما يعود على الناس بالنفع في دينهم ودنياهم.

---

(١) من تفريغ نصي لمحاضرة بعنوان (دور المرأة في التربية والدعوة إلى الله)، محمد إسماعيل المقدم، موقع (إسلام ويب) (بتصرف).

(٢) انظر: الخطابة (أصولها — تاريخها) في أزهر عصور العرب، الشيخ محمد أبو زهرة، صـ ٩-١١؛ الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، صـ ١٨،١٧.

- والدعوة إلى الامتناع عن كل شر أو منكر.
- والدعوة إلى الامتناع عن كل باطل أو ظلم أو إهمال.
- والدعوة إلى الامتناع عن كل ما يعود على الناس بالضرر في دينهم ودنياهم.

وعلى الأسرة المسلمة أن تعلم أبناءها ممارسة الدعوة إلى الله: في البيت، والمسجد، والمدرسة، والشارع، وكل مكان يذهبون إليه ". [١]

وتوجيه الأسرة المسلمة لأبنائها وتعليمهم ممارسة الدعوة إلى الله، ينبغي أن يقَيَّد بالممارسة الصحيحة والمنضبطة: قولا وعملا. وقدرة الأسرة المسلمة على هذا التوجيه والتعليم تتفاوت بحسب طبيعة الأسرة، ومستواها الثقافي، وعنايتها بالدعوة، وليس لزاما أن تقوم الأسرة نفسها بذلك، بل المقصود أن تعنى الأسرة بهذا الأمر عناية تامة بكل الوسائل والأساليب التي تحقق الهدف المنشود، وقد كان أبناء الرومان يرسلهم ذووهم ليتعلموا الخطابة وطريقة الأداء على يد أساتذة متخصصين في هذا الفن كما سبق ذكره.

* المحيط الاجتماعي الأسري والدفع بالموهوبين دعويا إلى طريق آخر:

بعض الأسر يرزقهم الله مواهب دعوية – أيًّا كانت نوعية الموهبة – فبدلا من العناية بها ورعايتها يدفع بها إلى اتجاه مغاير بعيد عن طريق الدعوة إلى الله، وذلك – من وجهة نظري – لعدة أسباب:

١- جهلاً منهم بفضل الدعوة ومكانة الدعاة عند الله جل وعلا.

٢- رغبةً في الدخل المادي المرتفع والمناصب الدنيوية المغرية لذوي الخبرة والكفاءة في تخصصات أخرى ، خاصة مع مشاهدة سوء الأوضاع المعيشية لبعض من ينتمون لميدان الدعوة .

٣- خوفاً عليهم من مشقات طريق الدعوة وعقباته.

٤- حرصاً من الأسرة أن يكون أبناؤها امتدادا للتخصص السائد فيها، والذي اشتهرت به بين الناس، كالطب، والهندسة، والصيدلة....إلخ.

---

(١) تربية الناشيء المسلم، د. علي عبد الحليم محمود، صـ ١٠٥.

وبناء عليه يحرم ميدان الدعوة من تلك المواهب والنبتات الدعوية ، ولذلك فإن الأمر يحتاج إلى معالجة تلك الأسباب والعوامل معالجة جادة وواقعية.

مما سبق يتبين أن الأسرة الصالحة بيئة مناسبة لنمو براعم الدعوة في أحضانها، وأن دورها في الإعداد والتوجيه والمتابعة والمساندة للداعي الذي ينشأ في كنفها دور عظيم وغاية في الأهمية.

وليس معنى ذلك أن المحيط الاجتماعي الأسري إذا كان بعيدا عن الاهتمامات الدعوية، أو له اتجاه مغاير للاتجاه الدعوي، أو كان بعيدا عن الاستجابة والمساندة، مصرا على الإعراض والمعاندة، أن تكون النتيجة يأس الداعي وفشل الدعوة، لكن النتيجة التي ستترتب على ذلك – ولا يمكن إنكارها أو إغفالها – أن مشقة الداعي في طريق الدعوة ستزداد، وسيحتاج إلى بذل مزيد من الجهد لإقناع الغرباء بصدق دعوته بعد أن جفاه وعاداه الأقرباء، ولذلك ابن سيدنا نوح عليه السلام، وامرأة نوح وامرأة لوط، ووالد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأبو لهب عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كل هؤلاء لم يؤمنوا ولم يستجيبوا، فهل توقف أنبياء الله عن الدعوة؟ لا، ولكن كان عدم إيمان ذويهم عقبة كبرى من عقبات الدعوة؛ لأن عدم إيمانهم يغري غيرهم ويجرؤهم على المخالفة وعدم الانقياد.

ولأن التخطيط مهم لنجاح الدعوة، فلا ينبغي أن يترك الأمر هكذا دون محاولة لإيجاد محيط اجتماعي أسري داعم للدعوة والدعاة.

وبناء عليه ينبغي أن تعنى المؤسسات الدعوية بتوعية الأسر المسلمة بأهمية الدعوة وفضلها وعظيم أجرها ومكانة الدعاة، من خلال حملات مكثفة تشكل ملامح الرأي العام عبر وسائل الإعلام المتنوعة؛ لتقوم تلك الأسر بتحفيز أبنائها ليسلكوا طريق الدعوة إلى الله، وتهيئة كل ما يلزم لذلك ماديا ومعنويا. وتحرص كل أسرة من تلك الأسر على أن تكون بيئة صالحة لتخريج داعٍ إلى الله، نائية بجميع أفرادها عن مواطن الزلل التي تؤثر – ولا شك – بالسلب على مستقبل ذلك الداعي ونجاحه في رسالة الدعوة.

وما أجمل أن يكون الداعي إلى الله ذا حسب ونسب في قومه، وليس المقصود بذلك الغنى أو الجاه، وإنما المقصود طهارة النسب من الرذائل والمدنِّسات، ولذلك اصطفى الله – سبحانه – أنبياءه ورسله من خيرة خلقه حسبا ونسبا حتى لا يعيَّر أحدَهم بما يسوء.

الدائرة الثانية: (دائرة المؤدبين والمعلمين): كان أسلافنا الأوائل يختارون لأولادهم أحسن المؤدبين إرشاداً وتوجيهاً، وأفضل المعلمين تعليماً وتأديباً؛ ليقوموا بأداء المهمة علي وجهها الصحيح في تنشئة الولد علي أساس العقيدة والأخلاق وتعاليم الإسلام.

ومما يدل على عنايتهم باختيار أفضل المؤدبين لأبنائهم الرسالة التي كتبها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – إلى مؤدب ولده، حيث استفتحها بقوله: " من عبد الله أمير المؤمنين إلى سهلٍ مولاه، أما بعد: فإني اخترتك على علمٍ مني بك لتأديب ولدي، فصرفتهم إليك عن غيرك من موالي وذوي الخاصة بي ". (١)

ورغم علمهم وأدبهم فقد كانوا يدفعون بأبنائهم إلى المؤدبين والمعلمين؛ إدراكا منهم أن تأثير المؤدبين والمعلمين الغرباء أقوى، واستجابة الأبناء لهم أفضل من الآباء، وهذه حقيقة ملموسة لا يمكن تجاهلها، ومع ذلك كانوا يتابعون عن كثب متابعة دقيقة، فيوجهون نصائحهم لمؤدبي أبنائهم؛ لمراعاتها في عملية التربية والتأديب.

روي الجاحظ " أن عتبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلي المؤدِّب قال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت ". (٢)

نعم، كان أسلافنا يأتون لأبنائهم بالمربين والمؤدبين والمعلمين، أو يدفعون بأبنائهم إليهم؛ ليقوموا بتربيتهم وتأديبهم وتعليمهم، فكانوا يغرسون فيهم كل جميل، ويرقون بهم إلى العلا في ميدان العلاقات الاجتماعية، والمشاركة المجتمعية، وكيفية التعامل مع الآخرين على تنوع درجاتهم واختلاف طبقاتهم، مما يظهر أثره في تعاملهم وتفاعلهم مع الناس في مواقف الحياة المختلفة بأسلوب راق.

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، صـ ٢٩٦.

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، ٢/ ٧٣.

ومن النماذج المبهرة التي هي ثمرة للتربية والتأديب والتعليم ما يلي:

* " دخل على عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – في أول خلافته وفود المهنئين من كل جهة، فتقدم من وفد الحجازيين للكلام غلام صغير لم تبلغ سنه إحدى عشرة سنة. فقال له عمر: ارجع أنت، وليتقدم من هو أسن منك!! فقال الغلام: أيد الله أمير المؤمنين، المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر – يا أمير المؤمنين – بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا!! فتعجب عمر من كلامه وأنشد:

تعلّم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإنّ كبير القوم لا علم عنده ... صغير، إذا التفّت عليه المحافل

* ورأى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولداً له في يوم عيد، وعليه ثوب خلق – أي قديم – فدمعت عيناه، فرآه ولده، فقال: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: يا بني، أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخلق؟!! قال: يا أمير المؤمنين، إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عق أمه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عني برضاك.

* ومما تناقلته كتب الأدب أن صبياً تكلم بين يدي الخليفة المأمون فأحسن الجواب. فقال له المأمون: ابن من أنت؟ فقال الصبي: ابن الأدب يا أمير المؤمنين!! فقال المأمون: نعم النسب، وأنشد يقول:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً ... يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول: ها أنذا ... ليس الفتى من يقول: كان أبي

* ودخل المأمون مرة بيت الديوان فرأى غلاماً صغيراً على أذنه قلم. فقال له: من أنت؟ قال : أنا الناشئ في دولتك، والمتقلّب في نعمتك، والمؤمل لخدمتك أنا الحسن ابن رجاء. فعجب المأمون من حسن إجابته، وقال: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته ". [1]

([1]) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، د. عبد الله ناصح علوان، ١/٣٠٥ ، ٣٠٦.

ونظرا لغياب المربين والمؤدبين المتخصصين في زمننا هذا، أو ندرة تواجدهم، وأصبح المعلّم هو الملقّن والموجِّه والمؤثّر، وأصبح هو من يقوم – غالبا – بالتربية والتعليم، فيجب على الحكومات الإسلامية أن تهتم بهذا المحور المهم في المؤسسات التعليمية، بأن تحرص على " إبعاد كل معلم له توجه غير إسلامي، أو صلة بالفكر المعادي، أو من يتبع تياراً معادياً كالشيوعية ونحوها عن مراكز التوجيه والتربية والتعليم، وكذلك غير الملتزمين إسلاميا، وأن لا يتولى مهمة التربية والتعليم إلا الصالحون الملتزمون كي يكونوا قدوة صالحة أمام المتعلمين وغيرهم ". [١]

والحرص كذلك على انتقاء المعلمين لأبناء المسلمين ممن تتوافر فيهم – إضافة إلى التمكّن العلمي –جميل الصفات، وكريم الأخلاق، ومن أبرزها " أن يكون اجتماعياً محبباً يألف ويؤلف ". [٢]

والحرص كذلك على أن يكونوا ممن وصفهم الشيخ أبو الحسن الندوي – رحمه الله – بأنهم :" يجمعون بين متانة العقيدة والاقتناع بالإسلام كدين خالد أبدي، وبين الاطلاع الواسع العميق علي العلم الحديث، هؤلاء الذين يميزون بين القشر واللباب، والزائف الفجّ غير الناضج من الآراء والنظريات، وبين المختمر الناضج الحصين من الآراء والتجارب، الذين لا تغرهم الدعاوى العريضة، والطبول الفارغة، بل يعتمدون دائماً علي حصيلة الاختبارات وعصير التفكير، الذين ما زادهم التوسع في الدراسات والتفنن في العلوم، والاحتكاك بالحضارة الغربية إلا إيماناً بالحقائق الغيبية والتعاليم الإسلامية، إنهم القليلون في العالم الإسلامي ولكنهم غير مفقودين، أولئك الذين إذا درسوا هذه العلوم العصرية الحديثة والنظم السائدة كونوا في نفوس الشباب ثقة جديدة، وإيماناً جديداً بصدق نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وخلود الرسالة الإسلامية، وعبقرية الشريعة السماوية ". [٣]

---

(١) أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته، محمد هلال الصادق، صـ ٣٧٨.

(٢) غزو في الصميم، عبد الرحمن حبنكة، صـ ٢٢١.

(٣) مشكلات الشباب "الحلول المطروحة والحل الإسلامي"، د. عباس محجوب، صـ ١٢٧.

ومن كانت هذه أوصافهم خرَّجوا للدنيا دعاةً إلى الله في كل التخصصات، وكافة المجالات، يخوضون غمار الحياة، ويتعاملون مع خلق الله، كلٌّ منهم يقوم بالدعوة إلى الله في بيئة عمله، ومكان تواجده، موظِّفاً تَخَصُّصه في بيان قدرة الله وعظمته. مؤثِّرًا فيمن حوله بحسن خلقه وجميل تعامله الذي غرسه فيه معلِّمه.

وكثير من أسرنا الآن تعنى – بالدرجة الأولى – بالجانب التعليمي القائم على تلقين المادة العلمية وتثبيتها لدى المتعلم فقط، فتحرص على الإتيان بمدرسين خصوصيين؛ لتقوية الأبناء في المقررات الدراسية، وتحصيل أعلى الدرجات وأرقى الشهادات العلمية التي تفتح لهم أبواب العمل، وتغفل جانب التربية والتأديب.

ليت الأسر المسلمة – في عصرنا هذا – تحرص على جانب التربية والتأديب كحرصها على الجانب التعليمي، وتأتي لأبنائها بالمربين والمؤدبين الثقات ذوي الخبرة في هذا المجال، فالتربية والتأديب والتهذيب قبل التعليم، ومعه، وبعده، وهي من أسباب التفوق العلمي.

الدائرة الثالثة: (الأصدقاء): وأثر الأصدقاء لا ينكر، وقد حث الإسلام بقوة على حسن اختيار الصديق؛ لما له من أثر إيجابي أو سلبي، قال – جل وعلا –: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) [(١)] ، وقال – جل وعلا –: (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا). [(٢)]

ولأن الصاحب يؤثر في صاحبه فينبغي أن تكون للداعي إلى الله صحبة صالحة تعينه على أمر الدعوة إلى الله تعالى، وتشد من أزره، ويبتعد عن المثبطين للهمة أو الملوثين للسمعة

---

(١) سورة الزخرف، الآية رقم ٦٧.

(٢) سورة الفرقان، الآيات رقم ٢٧ – ٢٩.

المنفرين للصالحين من الداعي وصحبته. وسأذكر نموذجين أبيِّن من خلالهما أثر الصديق في الدعوة:

النموذج الأول : أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الذي سخَّر ماله ووقته وجهده وولده لمساندة رسول الله — صلى الله عليه وسلم – في دعوته، والذي قال فيه النبي — صلى الله عليه وسلم –: (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخي وصاحبي). (١)

وعن أبي سعيد الخدري – رضى الله تعالى عنه — قال: خطب رسول الله — صلى الله عليه وسلم – الناس ، وقال: (إن الله خيَّر عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله) قال : فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم – عن عبد خيِّر، فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم – هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم –: (إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر) . (٢)

وعن أبي الدرداء – رضى الله تعالى عنه – قال: كنت جالسا عند النبي — صلى الله عليه وسلم – إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي — صلى الله عليه وسلم –: (أما صاحبكم فقد غامر) فسلَّم ، وقال: إني كان بيني وبين بن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: (يغفر الله لك يا أبا بكر) ثلاثا، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فسلم، فجعل وجه النبي — صلى الله عليه وسلم — يتمعَّر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس — رضي الله عنهما – في كتاب (فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)، باب (قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: لو كنت متخذا خليلا) حديث رقم (٣٦٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)، باب (قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر) حديث رقم (٣٦٥٤).

والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: (إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟) مرتين فما أوذي بعدها. (١)

النموذج الثاني : صاحب عبد الله بن عباس رضي الله عنه: عن ابن عباس– رضي الله عنه– قال: (لما قبض رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فإنهم اليوم كثير، قال: فقال: واعجبا لك! أترى الناس يفتقرون إليك؟ قال: فترك ذلك، وأقبلت أسأل، فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني). (٢)

" فلا شك أنَّ الصحبة لها تأثير كبير، لذا من أراد تحصيل الهمة العالية فليصحب أصحاب الهمم العالية، فإنه يستفيد من أفعالهم قبل أقوالهم، ومن لم يوفق لصحبة هؤلاء فليكثر من مطالعة سيرهم، وقراءة أخبارهم فإن ذلك مما يبعث الهمة، ويدعو إلى علوها ". (٣)

والحذر الحذر من مجالسة البطالين والمثبطين وصحبتهم، فإنها ذات أثر خطير: توهن العزائم، وتضعف الهمم، وتضيع الوقت، وتشغل بتوافه الأمور، إضافة إلى ما يعلق في القلب من أقوالهم من الشبه، وكلما أردت العمل ثبطوك .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)، باب (قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: لو كنت متخذا خليلا) حديث رقم (٣٦٦١).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام ابن حجر، ٢ / ١٠٧٦.

(٣) من مقال بعنوان (أسباب دنو الهمة) على موقع الدرر السنية.

جاء في فيض القدير للإمام المناوي – في بيان علة التحذير من مجالسة أهل السوء – : " إن حق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار ومجالستهم، فهي قد تجعل الشرِّير خيرًا، كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الخير شريرا، ولهذا أوصت الحكماء الأحداث بالبعد عن مجالسة السفهاء، وقالوا: إياك ومجالسة الأشرار، فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري، وليس إعداء الجليس جليسه بمقاله وفعاله فقط، بل بالنظر إليه، والنظر في الصور يورث في النفوس أخلاقًا مناسبة لخلق المنظور إليه، فإن من دامت رؤيته للمسرور سرَّ، أو للمحزون حزِنَ... ومن المشاهد أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة، فما الظن بالنفوس البشرية التي موضعها لقبول صور الأشياء خيرها وشرها؟ ". (١)

وبناء عليه ينبغي أن تنتبه الأسر إلى صداقات الأبناء، وأن تغرس فيهم ثقافة الصداقة المنضبطة بضوابط الإسلام، وهذا واجب مهم من الواجبات الملقاة على عاتق المؤسسات الدعوية أيضا؛ لتوجيه طلاب الدعوة إلى حسن اختيار الأصدقاء وبيان صفات الصديق الصدوق.

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المناوي، ٥ / ٥٠٧.

المطلب الثاني

تزويد الدعاة إلى الله– تعالى– بالعدَّة اللازمة للتواصل الاجتماعي

إن تزويد الدعاة بالعدَّة اللازمة للتواصل الاجتماعي الفعَّال أمر في غاية الأهمية، وأبرز ركائز تلك العدَّة ما يلي:

أولا: الثقافة الاجتماعية الإسلامية: التي تمكنه من التواصل الاجتماعي الفعال والمنضبط بالضوابط الشرعية مع الدوائر الاجتماعية المختلفة، القريبة والبعيدة.

ومن العلوم اللازمة لتكوين تلك الثقافة:

- دراسة النظام الاجتماعي الإسلامي المستمد من كتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تفصيلا.
- دراسة السيرة النبوية وسيرة السلف الصالح المتعلقة بالجانب الاجتماعي.
- دراسة فقه المعاملات.
- دراسة علم الاجتماع.
- دراسة علم النفس.
- دراسة علم التربية.
- دراسة العادات والتقاليد.

وإضافة إلى تلك الدراسة النظرية يأتي الجانب التطبيقي للتزود بتلك الثقافة الاجتماعية، من خلال سبل كثيرة، منها:

- صحبة الدعاة المؤثرين: فمما تجدر العناية به الحرص على صحبة العلماء العاملين، والدعاة الربانيين، والمربين الصادقين، ليقبسوا من هديهم، ويقتدوا بهم، ويستفيدوا من خبراتهم وأساليبهم.

" فمن بواعث الهمة، أن ينشأ الصغير في مجتمع تكثر فيه النماذج المشرقة من الأبطال المجاهدين، والعلماء العاملين؛ والتي تمثل القدوة، فهذا مما يحرك همته؛ كي يقتدي بهم، ويسير

على طريقهم، ومن لم يتهيأ له ذلك فليتحول عن البيئة المثبطة، الداعية إلى الكسل والخمول وإيثار الدون ". [١]

- إبراز التطبيقات والخبرات الدعوية في الجانب الاجتماعي: فتبادل الخبرات في المواقف الاجتماعية المتنوعة بين الدعاة أمر ضروري، ولا مانع من كتابتها وطباعتها وتوزيعها على طلاب الدعوة، والدعاة؛ للاستفادة منها، ويفتح المجال لاستقبال الخبرات الأخرى أو التعليق والتعقيب على الخبرات المذكورة؛ للوصول إلى الأمثل في تلك العلاقات الاجتماعية.

ثانيا: تنمية الأخلاق الحميدة والصفات المفيدة في إقامة علاقات اجتماعية ناجحة: فالداعي ينبغي أن يتحلى بكل الصفات الطيبة والأخلاق الحسنة التي تفتح بها مغاليق القلوب، وتلين بها الطباع القاسية، وتتفهم من خلالها العقول المتحجرة، ومن تلك الصفات صفات تشتد الحاجة إلى التحلي بها في ميدان العلاقات الاجتماعية مع الناس، والاختلاط بفئاتهم المتنوعة، من أبرزها ما يلي:

١ – إخلاص النية لله عز وجل، فبالإخلاص يحبه الله، ومن أحبه الله وضع له القبول في الأرض، وهذا هو أساس النجاح في كافة العلاقات الاجتماعية. عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جبريل إِنَّ اللَّه يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبه فَيُحِبُّهُ جبريل فَينَادي جبريل فِي أَهْل السَّمَاء إِنَّ اللَّه يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوه فَيُحِبُّهُ أَهْل السَّمَاء ثُمَّ يُوضَع لَه الْقَبُول فِي الْأَرْض). [٢]

٢ – التوكل على الله جل وعلا؛ كي يكون في معية الله وكنفه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه...الآية) . [٣]

٣ – الثبات على الحق، فالتعامل مع الناس، والرغبة في إصلاح العصاة، والمفسدين، والمنحرفين فكريا، وأرباب الأهواء والشبهات والشهوات، يستلزم ثباتا على الحق؛ لأنهم يبذلون جهدهم في الدفاع عن باطلهم وفسادهم وشبهاتهم، ويستميتون في استمالة الداعي

---

(١) من مقال بعنوان (أسباب دنو الهمة) على موقع الدرر السنية.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الخلق)، باب (ذكر الملائكة)، حديث رقم (٣٢٠٩).

(٣) سورة الطلاق، من الآية رقم ٣.

إليهم، كما حاول المشركون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن الله ثبته وحذره من الركون إليهم أو اتباع أهوائهم، قال – تعالى –: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ... الآية) [١]، وذكر الحق – جل وعلا– تثبيته لنبيه – صلى الله عليه وسلم – أمام تلك المحاولات، فقال – جل وعلا –: (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) [٢]، فعلى الداعي أن يتسم بالثبات، وأن يسأل ربه العون والتثبيت، فلا غنى لنا عن تثبيت ربنا، وسبحانه هو الذي قرر في كتابه الكريم (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ... الآية) [٣]، ولذلك كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك). [٤]

٤ – التضرع إلى الله عز وجل؛ كي يفتح مغاليق القلوب، ويغرس فيها غرس القبول، والألفة، والمحبة، كما قال الله – تبارك وتعالى –: (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) [٥]، وكما قال – صلى الله عليه وسلم –: (إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، يقلبها كيف يشاء) . [٦]

ولذلك كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتألف القلوب بالدعاء عموما، وبالدعاء بالهداية خصوصا، وهو من أبرز أساليب الدعوة إلى الله، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) سورة المائدة، من الآية رقم ٤٩.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان رقم ٧٣ ، ٧٤.

(٣) سورة إبراهيم، من الآية رقم ٣٧.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس – رضي الله عنه – في كتاب (القدر)، باب (ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن)، حديث رقم (٢١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٤٤٤/٢.

(٥) سورة الأنفال، الآية رقم ٦٣.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس – رضي الله عنه – في كتاب (القدر)، باب (ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن)، حديث رقم (٢١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٤٤٤/٢.

* دعاؤه – صلى الله عليه وسلم– لقبيلة دوس: قال أبو هريرة – رضي الله عنه –: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس: قال: (اللهم اهد دوسا وائت بهم) [1]، فهداهم الله للإسلام.

وقد استنبط الإمام البخاري – رحمه الله – من هذا الحديث أن الدعاء من أسباب التأليف، فعنون للباب بقوله: (باب الدعاء للمشركين بالهدى؛ ليتألفهم).

* دعاؤه – صلى الله عليه وسلم – لأم أبي هريرة رضي الله عنهما: قال أبو هريرة – رضي الله عنه –: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول – الله صلى الله عليه وسلم – : (اللهم اهدِ أمَّ أبي هريرة)، فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت، ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا، قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (اللهم حبب عبيدك هذا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير)، باب (الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم)، حديث رقم (٢٩٣٧).

يعني أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين)، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني .[١]

ومن الملاحظ في هذا الحديث حرص أبي هريرة – رضي الله عنه – أن يحببه الله وأمه إلى عباد الله المؤمنين، وأن يحبب عباد الله إليهم، وهذا من أرقى ما يمكن أن يكون في ميدان العلاقات الاجتماعية الطيبة، وبإخلاصه وحرصه ورغبته الملحة في ذلك دعا لهما رسول الله، ونالتهما بركة دعائه صلى الله عليه وسلم، ومَنْ مِن المؤمنين لا يحب أبا هريرة وأمه رضي الله عنهما؟!!

والنماذج الدالة على تألف النبي – صلى الله عليه وسلم – المخالفين له بالدعاء لهم بالهداية كثيرة ذكرتها كتب السنة والسيرة.

٥- العمل بالعلم والاستقامة في السلوك، كما قال الحق – جل وعلا – على لسان نبيه شعيب – عليه السلام -: (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه تركلت وإليه أنيب) [٢] ، والعمل بالعلم من عوامل ترسيخ ثقة المدعو بالداعي، وحبه له، واقتدائه به، وفي المقابل يكون الإعراض والنفور من الداعي في حالة مخالفته لما يقول؛ وبناء على خطورة آثار تلك المخالفة جاء التحذير من ذلك في الكتاب والسنة، قال – سبحانه -: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) [٣]، وعن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (فضائل الصحابة رضي الله عنهم)، باب (من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه)، حديث رقم (٢٤٩١).

(٢) سورة هود، الآية رقم ٨٨.

(٣) سورة الصف، الآيتان رقم ٢ ، ٣.

فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه) .[١]

٦- الحكمة في الأسلوب، فيضع كل أسلوب في محله. قال – تعالى -: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ... الآية) [٢]، فقدمت الحكمة لأنها بمثابة الأساس الذي ترتكز عليه كل الأساليب الدعوية، والحكمة منَّة ومنحة من الله، يؤتيها من يشاء من عباده، قال – تعالى -: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ... الآية). [٣]

٧- التخلق بالخلق الحسن، وهو من أهم الصفات في جانب صلة الداعي بالمدعوين، ولذلك مدح الله رسوله الكريم بقوله – جل وعلا -: (وإنك لعلى خلق عظيم) [٤]، ومن أبرز تلك الأخلاق المؤثرة في العلاقات الاجتماعية تأثيرا إيجابيا: التواضع، والكرم، والإيثار، والرفق، والرحمة، والصبر، والعفو، والصفح، والحلم، والأناة، والورع، والعفة، والزهد فيما في أيدي الناس، وطيب العشرة، والإعراض عن الجاهلين...إلخ، والأخلاق الحسنة كثيرة، وردت في القرآن والسنة وكتب السيرة، وفصلها علماء الأخلاق في مصنفاتهم.

٨- إحسان الظن بالمسلمين؛ لأن سوء الظن يمزق العلاقات، ويولّد النفور والإعراض، ومن ساء ظنه بالناس إما أن يعيش في عزلة، وإما أن تمزقه أمواج الهواجس النفسية، وفي أحسن الأحوال يحجِّم علاقاته بالناس إلى أضيق الحدود الضرورية، ومن هنا جاء التوجيه الإلهي الكريم لعباده المؤمنين: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم... الآية) [٥]، " ولا يستلزم إحسان الظن بالناس الغفلة عن واقعهم، والسكوت عن أخطائهم،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الخلق)، باب (صفة النار وأنها مخلوقة)، حديث رقم (٣٢٦٧).

(٢) سورة النحل، من الآية رقم ١٢٥.

(٣) سورة البقرة، من الآية رقم ٢٦٩.

(٤) سورة القلم، الآية رقم ٤.

(٥) سورة الحجرات، من الآية رقم ١٢.

ولكنه قد يستلزم حمل أقوالهم وأفعالهم على الأصلح. كما لا يتعارض حسن الظن مع الحذر ". [١]

٩- أن يستر على الناس عيوبهم، فستر عيوب الناس مدعاةٌ لحب الناس للداعي، والحياء منه، والثقة فيه، والتصريح له بما يكتمونه في نفوسهم ربما عن أقرب الناس، وبناء على ذلك يستطيع أن يقف على حقيقة أسباب بعض المشكلات الاجتماعية التي استعصى حلها على كثير ممن تدخلوا للإصلاح، ومن ثمَّ تكون البداية الصحيحة ويكون التخطيط السليم لحلها بإذن الله، ولذلك تتجلى عظمة هذا التوجيه النبوي المصحوب بالجزاء العظيم: (من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة). [٢]

١٠- أن ينزل الناس منازلهم، ويعرف لأهل الفضل فضلهم، قال الله – تعالى -: (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ... الآية) [٣]، وقال - جل وعلا -: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) [٤]، وقال – عز من قائل -: (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) [٥].

قال الإمام مسلم – رحمه الله - في مقدمة صحيحه: " فلا يقَصَّر بالرجل العالي القدر عن درجته، ولا يرفع مُتَّضِعُ القدر في العلم فوق منزلته، ويُعْطَى كلُّ ذي حق فيه حقَّه،

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، صـ ١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما - في كتاب (المظالم)، باب (لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه)، حديث رقم (٢٤٤٢).

(٣) سورة الأنعام، من الآية رقم ١٦٥.

(٤) سورة المجادلة، الآية رقم ١١.

(٥) سورة يوسف، من الآية رقم ٧٦.

ويُنزَّلُ منزلته. وقد ذُكِر عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ننزِّلَ الناس منازلهم ". (١)

والداعية إذا أعطى لكل ذي قدر قدره، وأنزل الناس منازلهم، تآلفت معه جموع الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم وفئاتهم.

١١– أن يخالط الناس حيث تحسن الخلطة، ويعتزلهم حيث يحسن الاعتزال (٢)، فالخلوة مع النفس للتفكر والتدبر في الكون وخالقه وأحوال البشر وكيفية التعامل معهم – ارتكازاً على أصول الدعوات السماوية مع الابتكار في الشكل دون المضمون – تعتبر ضرورة لكل داعية يحجز لنفسه مكاناً بارزاً مؤثراً في كتائب الدعوة إلى الله – تعالى – بعيداً عن النزول المفاجيء إلى ميدان الدعوة والتخبط العشوائي، وكما قد تكون الخلوة قبل النزول إلى الميدان لاختيار البداية الصحيحة الموفقة ووضع النقاط على الحروف وترتيب أوراق الدعوة، فلا مانع أن تأتي تلك الخلوة – التي تعني التحول عن مخالطة البشر والتفاعل معهم لفترة ما – بعد نزول الميدان وتجرع قدر من التجربة الواقعية، وفي هذه الحالة تكون الخلوة ضرورية للداعية لإعادة ترتيب الأوراق.

ثالثا: تدريب الداعي على حسن التعامل مع المواقف الاجتماعية المتنوعة (المشاركة الاجتماعية الفاعلة): ففي الإسلام الذوق والرقي والسمو في كافة التعاملات والمناسبات: قولا وعملا، ولا مانع من تدريس مقرر في (العلاقات العامة)، ومقرر في (مهارات التواصل) لطلاب الدعوة من منظور إسلامي، وإقامة دورات تدريبية بهذا المضمون للدعاة إلى الله.

ومن ملامح المشاركة الاجتماعية في حياة الدعاة ما يلي:

---

(١) صحيح الإمام مسلم، ٦/١، وقال عنه العجلوني بعد أن ذكر له طرقا: " وبالجملة فحديث عائشة حسن، وقال في التمييز: وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه معرفة علوم الحديث، وقال: حديث صحيح". كشف الخفاء، ١٩٤/١ ، ١٩٥.

(٢) لمعرفة الأخلاق والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله – تعالى – على وجه العموم راجع: المدخل إلى علم الدعوة، صـ ١٥٨–١٦٦؛ منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، الشيخ عدنان العرعور، صـ ١٠٦–١٣٦.

- المشاركة في الأفراح بالتهنئة والهدية.
- المشاركة في الأحزان والابتلاءات والمرض بالتعزية والمواساة ومدِّ يد العون وتفقد الأحوال ورعاية اليتامى والأرامل بالضوابط الشرعية.
- المشاركة في النوازل العامة بالتخطيط والتوجيه والعمل على تجاوز النازلة.
- المشاركة في المشكلات الاجتماعية الخاصة بالتدخل لحلها بحكمة وستر.
- المشاركة في المشكلات الاجتماعية العامة (مثل: تأخر سن الزواج، وانشغال الآباء عن الأبناء) بالتوجيه العام عبر وسائل الدعوة المتنوعة.
- وتكون تلك المشاركات مصحوبة بالكلمة الطيبة المناسبة للموقف، واللمسة الحانية التي تشعر بالألفة والاهتمام، وفي بعض تلك المشاركات تكون الحاجة إلى الابتسامة الرقيقة.

رابعا: تدريب الدعاة على إجادة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية: فالتواصل الاجتماعي قد يكون بشكل مباشر (شخصي)، أو غير مباشر (عبر وسائل التواصل الاجتماعي إلكترونيا) بما يحقق الثمرة المرجوة من العمل الدعوي.

وفي تصوري أن التدريب على إجادة استخدام تلك الوسائل يشمل جانبين:

الجانب الأول: التدريب على كيفية الاستخدام والتعامل مع الأجهزة الإلكترونية، وكيفية تكوين مجموعات وإرسال المعلومات.

الجانب الثاني: التدريب على استخدام تلك الوسائل بحكمة ورشد، بحيث تكون نافعةً، فاتحةً لكل خير، مغلقةً لكل شر، محققةً لأهداف الدعوة. مع الحذر الشديد من الإسراف في استخدامها، وتضييع الأوقات في مطالعتها، والاستغناء بها عن التواصل الاجتماعي المباشر (اللقاء الشخصي) الذي يتحتم مع بعض الدوائر الاجتماعية، كالأقارب والأرحام، ويتحتم في بعض الأمور ومعالجة بعض المشكلات.

ويمكن أن يتم ذلك التدريب وما تصحبه من توعية لازمة من خلال:

- تدريس مقرر دراسي لطلاب تخصص الدعوة في تخصص الحاسب الآلي وتقنية المعلومات والأجهزة الذكية يقوم بتدريسه متخصصون، ويشمل الجانب النظري والجانب التطبيقي.

- إقامة دورات تدريبية للدعاة إلى الله في استخدام الحاسب الآلي وتقنية المعلومات والأجهزة الذكية من قبل المؤسسات الدعوية، وإلزام الدعاة الرسميين بالحضور، وفي نهاية الدورة يعقد اختبار نظريَ وعملي، ويكون اجتياز ذلك الاختبار معتبرا في الترقية الوظيفية أو التقديرات السنوية، إضافة إلى ترغيب كافة الدعاة غير الرسميين بعدد من المرغِّبات لحضور تلك الدورات.
- العمل على تعميم التعامل والتواصل الإلكتروني في ميدان الدعوة بين الدعاة وبين المؤسسات الدعوية، فإن هذا يلزم الدعاة بالتعلم والتدرب، ويكون خطوةً لاعتياد ذلك الاستخدام في التواصل الدعوي الفعال.

المطلب الثالث

متابعة الجانب الاجتماعي في حياة الدعاة للتقييم والتقويم

إن الحياة الاجتماعية الخاصة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – مع زوجاته قد عُرِضَت تفاصيلها في كتب السنة من داخل بيته – صلى الله عليه وسلم – عن طريقه أو عن طريق زوجاته؛ لأنه القدوة الأولى للمسلمين في كل جوانب الحياة، وحتى يصلح التأسِّي ويمكن الاقتداء لا ينبغي أن يخفى هذا الجانب الأسري المهم من حياته – صلى الله عليه وسلم – عن الأمة.

ولا أقصد بالجانب الاجتماعي في حياة الدعاة هنا الحياة الاجتماعية الخاصة بالداعي مع أهله وذويه، والتي يغلب عليها طابع السرية، وقد لا يقْبل التدخُّل في تفاصيلها إلا في حالات معينة، وقد لا يعرف الناس عنها إلا انطباعا إجماليا معينا تحدِّده المخالطة في المناسبات على مدار الأيام والسنوات، وكما يتردد على ألسنة الناس (البيوت أسرار).

وإنما أقصد – بالدرجة الأولى – العلاقات الاجتماعية المكشوفة التي يشتهر بين الناس أمرها، كعلاقة الداعي مع جيرانه، مع أصدقائه، مع زملائه، مع أقاربه، مع المدعوين، مع من يتعاملون معه بكافة أشكال التعامل.

فالمطلوب متابعة تلك العلاقات من قبَل المؤسسات الدعوية بآلية مناسبة ثابتة أو متغيرة، شريطة أن يكون الدعاة على علم بأصَل تلك المتابعة، لا بوقتها ولا بكيفيتها، حتى يحرصوا على تجويد ذلك الجانب الاجتماعي، وتطبيق الثقافة الاجتماعية الإسلامية في كافة علاقاتهم وتعاملاتهم.

والهدف الأساس أن تكون تلك المتابعة تعزيزا وتحفيزا لذلك الجانب إن كان إيجابيا، وتصويبا وتسديدا إن كانت فيه بعض السلبيات الملحوظة، بالتوجيه والمناصحة بالأسلوب المناسب، في إطار من الحكمة، بعيدا عن التشهير أو التجريح، وربما يكون من الحسن أن يكون التوجيه عاما وليس خاصا، من باب (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا)، ويكون ذلك في اجتماعات عامة تعقدها المؤسسات الدعوية للدعاة، فإذا لم يأت التوجيه العام بنتيجة ملحوظة حينئذ يكون الانتقال الحكيم إلى التوجيه الخاص.

وكما هو معلوم أن النفوس البشرية يتقاسمها الترغيب والترهيب، والمتابعة الجادة المقرونة بالمحاسبة في حالة الإصرار من قبل الداعي على ما يرتكبه من خلل لها أثرها الفعال في تطوير الأداء، والاتجاه بالعلاقات الاجتماعية في حياة الداعي نحو الأفضل؛ مما ينعكس مردوده نجاحا للدعوة بإذن الله تعالى.

وتلك المتابعة للدعاة ينبغي أن لا تفهم على أنها تضييق أو تربص ... إلخ، وإنما هي من مقتضيات المسؤولية الشاملة التي قررها رسول الله – صلى الله عليه وسلم — في حديثه الشريف: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته) .[١]

*وقد حاسب النبي – صلى الله عليه وسلم — بعض أصحابه على إطالة الصلاة بالناس:

فعن جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما – قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذاً يصلي، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة — أو النساء – فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذاً نال منه، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فشكا إليه معاذاً، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (يا معاذ، أفتان أنت؟) — أو (أفاتن؟) — ثلاث مرار، (فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة) .[٢]

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري — رضي الله عنه – قال: قال رجل: يا رسول الله، إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضبا منه يومئذ، ثم قال: (يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فمن أمَّ الناس فليتجوز فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة). [٣]

وأستنبط من هذين الحديثين أن الاستماع لشكوى الناس من تعامل الداعي، والتعامل الموضوعي الجاد مع هذه الشكوى، بالتحقيق في صدقها من كذبها، واتخاذ الإجراءات اللازمة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما – في كتاب (العتق)، باب (العبد راع في مال سيده، ونسب النبي — صلى الله عليه وسلم – المال إلى السيد)، حديث رقم (٢٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الأذان)، باب (من شكا إمامه إذا طوَّل)، حديث رقم (٧٠٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الأذان)، باب (من شكا إمامه إذا طوَّل)، حديث رقم (٧٠٤).

لإزالة أسباب الشكوى في حالة التأكد من صدقها، صورةٌ من صور المتابعة الفعالة المثمرة في ميدان الدعوة إلى الله، لكن الأفضل أن تبادر المؤسسات الدعوية بمتابعة الدعاة في إطار خطة شاملة متكاملة تعلي مبدأ (الوقاية خير من العلاج).

* كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يتابع ولاته متابعةً دقيقة ويحاسبهم؛ حرصاً على المصالح العامة للمسلمين.

" ولم يكن – رضي الله عنه – يرضى بأن يهتم بحسن اختيار عماله، بل كان يبذل أقصى الجهد لمتابعتهم بعد أن يتولوا أعمالهم ليطمئن على حسن سيرتهم، ومخافة أن تنحرف بهم نفوسهم، قال يوما لمن حوله: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما علي؟ فقالوا: نعم، قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا؟

وتنوعت أساليب متابعته للعمال والولاة بما يحقق الهدف المنشود، فكان يطلب من ولاته القادمين إلى المدينة أن يدخلوها نهارا، ولا يدخلوها ليلا؛ حتى يظهر ما يكون قد جاءوا به من أموال ومغانم، فيسهل السؤال والحساب، وكان يطلب من ولاته أن يرسلوا وفودا من أهل البلاد؛ ليسألهم عن بلادهم، والخراج المفروض عليهم؛ ليتأكد بذلك من عدم ظلمهم، وكان يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار، ويأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أن ينادي في الناس: من الذي يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين؟ حتى يحملها إليه دون تدخل من والي البلد، وبالتالي يكون المجال مفتوحا أمام الناس لرفع أي شكوى أو مظلمة إلى عمر نفسه دون أن يعلم الوالي أو رجاله بذلك، وكان إذا وفدت عليه وفود الحجيج سألهم عن أحوال أمرائهم وسيرتهم فيهم، كما كان يسأل القضاة ويستحلفهم عن مدى تطبيق الوالي للعدل، كذلك كان لعمر مفوَّضون رسميُّون يسافرون إلى الأمصار، ويراجعون أعمال الولاة، بل كان تفكير عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات شخصيا لمراقبة العمال، وتفقد أحوال الرعية، والاطمئنان على أمور الدولة المترامية ". [1]

---

(١) انظر: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب (أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره، د. علي محمد محمد الصلابي، صـ ٤٠٢-٤٢٨.

إنه يفعل ذلك؛ استشعارا لعظم الأمانة، وإدراكا منه لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأبي ذر – رضي الله عنه – في شأن الإمارة: (إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) . (١)

* وكان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – حريصا على متابعة العمال والولاة: "كان يتحسس أخبارهم، ويراقبهم، ويحاسبهم على تقصيرهم. كتب إلى أحدهم يقول: (لقد كثر شاكوك، وقلَّ شاكروك، فإما عدلت، وإما اعتزلت، والسلام)، وأما من كان لا يعرف سيرتهم جيدا فإنه يسأل عنهم الثقات من أهل بلدهم، ممن عايشوهم وخبروهم وعلموا سيرتهم ". (٢)

وكان يغتنم موسم الحج لتفقد الأحوال، والسؤال عن سيرة ولاة الأمصار، وفتح بابه على مصراعيه لأصحاب المظالم؛ ليقف من خلالها على حال ولاته في الناس، "كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم: ألا وإنه لا إذن عليَّ لمظلوم دوني، وأنا معول كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنة، فلا طاعة له عليكم ". (٣)

لقد " عني عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – عناية فائقة باختيار عماله وولاته، وكان يكتب إلى عماله: إياكم أن تستعملوا على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن، فإنه إذا لم يكن عند أهل القرآن خير، فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير، وكان يكره أن يولي أحدا ممن غمس نفسه في الظلم أو عمل مع الظلمة، وقد كان لهذا النهج الذي تميزت به

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر – رضي الله عنه – في كتاب (الإمارة)، باب (كراهة الإمارة بغير ضرورة)، حديث رقم (١٨٢٥).

(٢) عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، عبد الستار الشيخ، صـ ٢٧٥.

(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، صـ ٩٠.

سياسة عمر بن عبد العزيز في اختيار الولاة والعمال أثر في الاستقرار السياسي في الأقاليم، حيث رضي الناس سير عماله، وحمدوا فعالهم ". [١]

وكما أن متابعة الحاكم للولاة تثمر الاستقرار السياسي، فإن متابعة القائمين على أمر الدعوة إلى الله للدعاة، في كل الجوانب عموما، وفي الجانب الاجتماعي خصوصا، تثمر صلاحا واستقرارا وأمنا وتقدما وسعادة ووسطية واعتدالا وصبغا للمجتمع كله بصبغة الدين الإسلامي الحنيف في كل مجالات الحياة.

فاستشعار القائمين على أمر الدعوة للمسؤولية والأمانة يقتضي منهم أن تكون هناك متابعة جادة للدعاة إلى الله؛ لتعزيز الجادين المخلصين منهم، الراغبين في تطوير أنفسهم بما يخدم دعوة الله، ولتصفية ميدان الدعوة من المستهترين الذين لا يرون الدعوة إلا أنها سبيل للقمة العيش فقط، ولا تجدي معهم التوجيهات والنصائح، وأمثال هؤلاء يؤثرون بالسلب على الدعوة كلها.

وإذا كان أصحاب المصالح الصغيرة والمؤسسات المحدودة يحرصون على متابعة مصالحهم ومؤسساتهم وكل ما يتعلق بها؛ حرصا على الربح، وتفاديا للخسارة، فأولى بالقائمين على أمر الدعوة أن يكونوا أشد حرصا على إصلاح ميدان الدعوة الذي تترتب على صلاحه سعادة الدنيا والآخرة، ومن أبرز عوامل ذلك الإصلاح المتابعة الجادة والمستمرة لكل من ينتمي إلى ميدان الدعوة.

ولا مانع أن تكون هناك لائحة في كل مؤسسة دعوية تسمى (لائحة الشرف والتميز)، تعلن عليها أسماء الدعاة المتميزين في جانب العلاقات الاجتماعية، الناجحين في تعاملهم مع الناس، المشهود لهم بحسن السيرة، ويمكن أن يكون ذلك بشكل شهري، أو ربع سنوي، أو نصف سنوي، أو سنوي؛ ليكون ذلك دعما وتحفيزا معنويا للمتميزين، ومن ناحية أخرى يكون حافزًا للدعاة المقصرين كي يجتهدوا للحاق بركب المتميزين.

---

(١) انظر: الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (شخصيته وعصره)، د. علي محمد الصلابي، صـ ٢٨١ ، ٢٨٢.

المبحث الثاني

أثر الإعداد الاجتماعي للدعاة في الدعوة إلى الله تعالى

إن الإعداد الاجتماعي للدعاة إلى الله – تعالى – يتجلى في كل تصرفاتهم ومواقفهم الحياتية، ويلْمس أثره في حياتهم، وحياة المدعوين ، وفي الدعوة ذاتها، كما توضحه المطالب التالية:

المطلب الأول

أثر الإعداد الاجتماعي للدعاة في الداعي ومحيطه الاجتماعي الخاص

أولا: علو همته وفاعليته في الدعوة إلى الله: فهناك تناغم وتوافق واتساق بينه وبين محيطه الاجتماعي (محيط الأسرة والصداقة)، يحفزه، ويعينه في طريق الدعوة إلى الله، فهم أسرع الناس قبولا واستجابة وتأييدا ودعما لما يدعو إليه، وفي هذا إعانة له في طريق الدعوة، بخلاف ما إذا كانت المحيط الاجتماعي مخالفا، أو مثبِّطا.

ثانيا: حسن سيرته: فالصفات الطيبة والأخلاق الحميدة التي غرست فيه أثناء إعداده؛ وتحلى بها في ميدان التعامل مع الناس ومخالطتهم، تجعل سيرته عطرة بين الناس.

ثالثا: وضعه في موضع القدوة الحسنة: يحرص الناس على الاقتداء به، ويحثون أبناءهم كي يسلكوا دربه.

رابعا: قوة تأثيره في ميدان الدعوة: فالناس مجبولون على حب من يحسن إليهم، والتأثر به، والاستجابة لتوجيهاته.

خامسا: تميُّز علاقته بالمدعوين: بسبب الرصيد الثقافي الاجتماعي الإسلامي، والصفات الطيبة التي تضفي بظلالها الوارفة على تلك العلاقات الاجتماعية.

سادسا: اتساع دائرة علاقاته الاجتماعية: بسبب حرصه على التعارف والتواصل واكتساب علاقات وصداقات ومعارف كل يوم، إضافة إلى ثورة الاتصالات ومواقع التواصل الاجتماعي التي يجيد استخدامها في الدعوة إلى الله؛ مما يسهم في تكوين رأي عام وتوجُّه سائد في وقت وجيز تجاه أية قضية من القضايا لدى قطاع عريض من الناس، وفي هذا خير كبير للدعوة إلى الله.

سابعا: تنوع خبراته بواقع الدعوة والمدعوين: فالأمر لا يقف عند حد التزود برصيد ثقافي اجتماعي نظري، بل إن المخالطة الفعلية لجماهير المدعوين، المتنوعين في ثقافاتهم وطباعهم وعاداتهم وتقاليدهم، لها وقْع آخر، ولها رصيد من الخبرة أعظم، يضاف إلى الرصيد الثقافي النظري، ويوما بعد يوم يصبح الداعي إلى الله خبيرا في فن التعامل مع المدعوين بما يتناسب مع واقعهم المعاش.

ثامنا: معرفة أصناف المدعوين وأحوالهم: من خلال مخالطتهم والتعايش معهم، ومن ثم استخدام الأساليب والوسائل المناسبة، واختيار الموضوعات الدعوية الملائمة، ومعرفة الأولويات، وتشخيص الأدواء؛ لوصف الدواء.

تاسعا: نجاحه في دعوته وتحقق الثمرة المرجوة منها: والتوفيق من الله جل وعلا، ويطيب لي أن أستشهد بهذا الحديث؛ مستدلا به على أثر العلاقات الاجتماعية الطيبة في قبول الدعوة ونجاحها، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان غلام يهودي يخدم النَّبِيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فمرض، فأتاه النَّبِيُّ – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – يعوده، فقعد عند رأسه، فقال: (أسلم)، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم صلَّى اللَّه عليه وسلَّم. فأسلم، فخرج النَّبِيُّ – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النَّار). (١)

وكم أسلم أناس، وكم هدى الله من العاصين، بسبب حسن المعاملة والأخلاق الطيبة الفاضلة.

وحديث ثمامة بن أثال خير شاهد على ذلك:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: بعث النبي – صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: (ما عندك يا ثمامة؟) فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعِم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب (كتاب الجنائز) باب (إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام) حديث رقم (١٣٥٦).

فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: (ما عندك يا ثمامة؟) قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: (ما عندك يا ثمامة؟) فقال: عندي ما قلت لك، فقال: (أطلقوا ثمامة)، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم. (١)

عاشرا: زيادة حبه واحترامه في قلوب الناس: بسبب عنايته بهم، وتأدُّبه معهم، وسعيه في مصالحهم، وهذا يدفعهم إلى الإقبال عليه، والثقة فيه، والارتباط به، والتآلف معه، ومن ثم التعاون معه وبذل الجهد المستطاع لمساندته في أمور الدعوة ماديا ومعنويا، فضلا عن تقديمه ومنحه مكانته اللائقة به وبدعوته وتكريمه أينما حلَّ، فحب الناس له، واحترامهم له يجعله مقدَّما ومكرَّما وموفقاً بفضل الله تعالى، ويمتد ذلك الحب والتقدير والتكريم لكل من له صلة بالداعي.

حادي عشر: كف المعارضين عن أذيته أو مواجهة دعوته: فإذا لم يقبلوا دعوته، ولم يستجيبوا لنصيحته، فعلى أقل تقدير أنه سيكْفَى شرهم؛ لحسن تعامله معهم.

وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو المشركين إلى الطعام ثم يدعوهم إلى الله، فإن لم يستجيبوا غلبهم الحياء أن يقولوا سوءا أو يفعلوا سوءا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب (كتاب المغازي) باب (وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال) حديث رقم (٤٣٧٢).

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه — قال: قاتل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مُحارب خصفة بنخل، فرأوا من المُسلمين غرَّة، فجاء رجل منهم، يقالُ له: غورث بن الحارث، حتَّى قام على رأس رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالسَّيف، فقال: من يمنعك منِّي؟ قال: (الله)، فسقط السَّيف من يده، فأخذه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: (من يمنعك منِّي؟)، قال: كن كخير آخذ، قال: (أتشهد أن لا إله إلَّا الله ؟)، قال: لا، ولكنِّي أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلَّى سبيله، قال: فذهب إلى أصحابه، قال: قد جئتكم من عند خير النَّاس.[1]

ثاني عشر: حرص أسرة الداعي على أن تكونَ محضنا صالحا لغرس دعوي من بين أفرادها: باستقامتها على شرع الله؛ استشعاراً لأهمية الدعوة ومكانة الدعاة، ورغبة في تحصيل خير الدنيا والآخرة.

ثالث عشر: تنقية دائرة الصداقات والقرناء للداعي من أهل السوء: وهذا ما تحرص عليه أسرته في مرحلة إعدادها له إعدادا اجتماعيا، فلا مكان لهؤلاء الذين يضرون ولا ينفعون، ويسيئون ولا يحسنون، ويثبطون ولا يحفزون، وفي المقابل تعزيز تلك الدائرة بأهل التقى والصلاح الذين يتناغمون مع الداعي في دعوته، يذكرونه إذا نسي، ويعينونه إذا تذكر.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، في (مسند العشرة المبشرين بالجنَّة)، رقم الحديث (١٤٦٥٣).

المطلب الثاني

أثر الإعداد الاجتماعي للدعاة في المدعو

أولا: معرفة مشاكلهم واهتماماتهم: من قِبل الداعي المعني بتفقد أحوالهم والسؤال عنهم، ومن ثم مساعدتهم في حلها ومعالجتها.

ثانيا: تحقق عملية الاقتداء في واقعهم الحي: متمثلة في شخصية الداعي إلى الله تعالى، ومن ثمَّ يسهل عليهم التطبيق الصحيح لما جاء به الإسلام من آداب وفضائل وأحكام.

ثالثا: انتشار الصفات الطيبة والأخلاق الحسنة والتعامل الطيب بين أفراد المجتمع: اقتداء بالداعي المتمسك بها، المطبق لها في كافة تعاملاته وعلاقاته.

رابعا: انضباط العلاقات الاجتماعية في المجتمع: بمختلف أنواعها ودرجاتها بضوابط الإسلام التي يشيعها الداعي من خلال علاقاته وتعاملاته.

خامسا: تطور المجتمع: الذي تشيع فيه تلك الصفات، وتنتظم فيه العلاقات الاجتماعية بتلك الضوابط تطورا شاملا.

المطلب الثالث

أثر الإعداد الاجتماعي للدعاة في الدعوة وموضوعاتها وأساليبها ووسائلها

أولا: توافر اتجاه عام داعم للدعوة بقوة: ومزوِّد لميدانها بلبنات دعوية جديدة نالت حظها من الرعاية والإعداد؛ تأثُّراً بالداعي وأخلاقه واستقامته وحسن تعامله وأثره الملموس في كافة قطاعات المجتمع، بل تسعى الأسر إلى الاقتداء بالأسرة التي بذلت وجاهدت لتخرِّج داعٍ إلى الله، فتغبطها، وتسير على نهجها.

ثانيا: إدراك أهمية الدعوة إلى الله تعالى: في تغيير المجتمع إلى الأفضل، وإدراك شمولها لكافة مجالات الحياة، وأنها ليست قاصرة على مجال الشعائر والعبادات، وإدراك الجهد الذي يبذله الدعاة إلى الله، يبتغون الأجر من رب العالمين، والخير لخلق الله أجمعين، وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم.

ثالثا: انتشار الدعوة في كثير من البقاع: فالخلق الحسن والتعامل الطيب الذي يصاحب الداعية في دعوته الحركية يفتح قلوب العباد، وهو ما يطلق عليه (الدعوة السلوكية).

رابعا: سرعة انتشار البيان الدعوي: في أية قضية يراد معالجتها والتعامل معها على وجه السرعة عبر مواقع التواصل الاجتماعي التي يحرص الداعي على استخدامها والانتفاع بها في الدعوة إلى الله تعالى؛ ليكون السبق لكلمة الحق، قبل أن تغزو كلمة الباطل العقول وتلوث الأفكار.

خامسا: التركيز في الخطاب الدعوي على ما يؤلف القلوب، ويوحد الصفوف، ويجمع الكلمة: والتحذير من كل ما يؤدي إلى الفرقة والتناحر والعداوة، قال – تعالى –: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)[1]، وقال – جل وعلا –: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا .... الآية).[2]

---

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم ٩٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٠٣.

سادسا: الاهتمام باستخدام الأساليب الدعوية التي تحدث الألفة والمودة بين الداعي والمدعوين: ليتعلم الناس من الداعي كيف يتعاملون بما يؤلف ولا ينفِّر، وبما يجمِّع ولا يفرِّق، مثل : أسلوب الحكمة الذي يعني وضع الشيء في موضعه، وأسلوب الموعظة الحسنة، مقدِّما الترغيب على الترهيب، والتبشير على الإنذار، والتيسير على التعسير، والمدح على الذم، واللين على الشدة...إلخ، فالإعداد الاجتماعي الجيد يشيع استخدام مثل هذه الأساليب في الدعوة إلى الله تعالى. وأما الأساليب الأخرى فلا تستخدم إلا حيث تدعو الضرورة إلى استخدامها، مثل أسلوب الجدل، وأسلوب الشدة، وأسلوب الترهيب، وأسلوب الذم....إلخ، وعندما تدعو الضرورة إلى استخدامها يحرص الداعي على أن يكون ذلك في إطار من الحكمة والموازنة بين المصالح والمفاسد.

سابعا: التوجُّه القوي إلى توظيف الوسائل الإلكترونية في الدعوة إلى الله: لكثرة متابعيها والمتأثرين بها، إضافة إلى استخدام كل وسيلة جاذبة لفئات المجتمع المتنوعة، ما لم تحتوي على مخالفات شرعية.

الخاتمة

بعد هذا العرض لملامح الإعداد الاجتماعي للدعاة إلى الله، وبيان أثره في الدعوة إلى الله تعالى، يطيب لي أن أذكر أبرز النتائج والتوصيات :

أولا : النتائج :

- أهمية إعداد الدعاة إلى الله إعدادا شموليا يرتقي بهم في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.
- أهمية الإعداد الاجتماعي للدعاة إلى الله بوجه خاص؛ لما فيه من الارتقاء بعلاقة الداعي بمن حوله ممن يتأثر بهم أو يؤثر فيهم.
- الدعوة إلى الله – تعالى – ليست مجرد تبليغ ونقل معلومات من الداعي للمدعو، وإنما – إضافة إلى ذلك – علاقات اجتماعية راقية بين الداعي والمدعوين على اختلاف أصنافهم، تثمر التأثر بالداعي والاستجابة لدعوته، ومن ثمَّ إحداث التغيُّر في المجتمع إلى الأفضل بإذن الله.
- المحيط الاجتماعي للداعي (وخاصة محيط الأسرة والأصدقاء والمؤدبين والمعلمين) ذو أثر عظيم في توجيه الداعي إيجابا أو سلبا.
- تزويد الدعاة بالثقافة الاجتماعية الإسلامية وتطبيقاتها يسهم في تطوير الجانب الاجتماعي في حياة الداعي، وتحسين علاقاته الاجتماعية القريبة والبعيدة.
- الاستخدام الأمثل من قبل الدعاة لأجهزة التقنية الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية أمر ضروري في الدعوة إلى الله تعالى.
- المتابعة الجادة للدعاة في كل الجوانب على وجه العموم، وفي الجانب الاجتماعي على وجه الخصوص، يدفع الدعاة ويحفزهم إلى مزيد عناية بتجويد هذا الجانب، ومزيد إدراك لأهميته في نجاح الدعوة إلى الله تعالى.

ثانيا التوصيات:

إضافة إلى ما سبق ذكره من توصيات في ثنايا البحث أوصي بما يلي:

- أوصي المؤسسات الدعوية ببذل مزيد من الجهد لتوعية الأسر المسلمة وتعريفها بأهمية الدعوة إلى الله – تعالى – وفضلها وعظيم أجرها ومكانة الدعاة إلى الله، بكل الوسائل الإعلامية المتاحة.
- أوصي المؤسسات الدعوية بالعمل على تحقيق التكريم الملموس للدعاة إلى الله: ماديا ومعنويا؛ ليكون حافزا للدعاة من جهة، وحافزا للأسر المسلمة كي تدفع بأبنائها إلى طريق الدعوة لينخرطوا في ميدانها.
- أوصي المؤسسات الدعوية – وخاصة المؤسسات الأكاديمية التي تحتضن طلاب الدعوة – بإعداد لقاءات لأسر الطلاب والدارسين بتخصص الدعوة؛ لتثقيفهم بما ينبغي أن تكون عليه البيئة الحاضنة للنبتة الدعوية (خاصة إطار الأسرة وإطار الصداقة)؛ لتكون عونا لنمو تلك النبتة وازدهارها في طريق الدعوة.
- أوصي المؤسسات الدعوية بالعمل على تأسيس مؤسسات تعليمية دعوية تشمل كافة المراحل الدراسية، هدفها إعداد كوادر دعوية مؤهَّلة تأهيلا شاملا، وتخريجهم للالتحاق بميدان الدعوة مباشرة، وفي إطار الحرص على الجودة يتم اختيار المعلمين لطلاب تلك المدارس بعناية شديدة، ممن لديهم الكفاءة والقدرة على التربية والتعليم، ويتم وضع مناهج دراسية مناسبة للهدف المنشود من قِبل المختصين، والأهم الحرص على انتقاء الطلاب الذين ينتسبون لتلك المدارس، ممن تتوافر فيَهم الرغبة في ممارسة الدعوة، وبعض المواهب الفطرية التي تمثل الأساس الذي ستبني عليه تلك المؤسسات جهودها معهم، مع حرص أسرهم على إدراج أبنائهم ضمن طلاب تلك المدارس؛ حبا ورغبة وإدراكا حقيقيا لأهمية العمل الدعوي والشرف الذي يحوزه المنتسبون لهذا الميدان.
- أوصي المؤسسات الدعوية بتزويد الدعاة بالعدة اللازمة للجانب الاجتماعي: نظرياً بالثقافة الاجتماعية وما تقتضيه من دراسة بعض العلوم كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأخلاق، وعلم مهارات الاتصال، وتطبيقياً بتكثيف المعسكرات والمراكز والعديد من البيئات التي

يخوض فيها الدعاة الجدد – على وجه الخصوص – مواقف اجتماعية متنوعة، وربما تكون مواقف مصطنعة، للوقوف على مدى كفاءتهم في التعامل مع تلك المواقف.

- أوصي المؤسسات الدعوية – وخاصة المؤسسات الأكاديمية التي تحتضن طلاب الدعوة – بإعداد دراسات علمية نظرية، وإجراء دراسات ميدانية تتناول الجانب الاجتماعي في حياة الدعاة بكل أبعاده؛ للوقوف على الواقع بإيجابياته وسلبياته، والتخطيط للمأمول.
- أوصي المؤسسات الدعوية – وخاصة المؤسسات الأكاديمية التي تحتضن طلاب الدعوة – بتدريب الدعاة على الاستخدام الأمثل لأجهزة التقنية الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية.
- أوصي المؤسسات الدعوية بالعمل على اختيار آلية مناسبة لتقييم الجانب الاجتماعي في حياة الد عاة؛ تعزيزا للإيجابيات، وتقويما للسلبيات، وارتقاء بهذا الجانب المهم في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرس المراجع

- القرآن الكريم.

- أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته، محمد هلال الصادق، رسالة ماجستير بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر.
- الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ)، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الخامسة ١٩٨٥م .
- تربية الأولاد في الإسلام، د. عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط الحادية والعشرون ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
- تربية الناشيء المسلم، د. علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء، المنصورة، ط الثالثة ١٤١٥ هـ – ٢٩٩٤ م.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الثالثة عشرة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
- الجامع الكبير، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٩٩٦ م.
- الخطابة (أصولها – تاريخها) في أزهر عصور العرب، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط الأولى ١٩٣٤ م.
- الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.
- الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (شخصيته وعصره)، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت، ط الرابعة ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م.
- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢ هـ.
- صحيح سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ — ٢٦١ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق، ط الثانية، ١٤١٧ هـ - ٢٠١٦ م.
- غزو في الصميم، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط الرابعة ١٤١٧هـ .
- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب (أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره، د. علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المحدث محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م.
- القاموس القويم للقرآن الكريم، إبراهيم أحمد عبد الفتاح، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٣م.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للمحدث إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢ هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥١ هـ.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين أبو الفضل بن منظور الأنصاري (٦٣٠ – ٧١١ هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- المجتمع الإسلامي المعاصر، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط الخامسة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، المتوفى سنة ٢٤١ هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
- مشكلات الشباب "الحلول المطروحة والحل الإسلامي "، د. عباس محجوب، العدد (١١) من سلسلة كتاب الأمة، ط الثانية، ربيع الأول ١٤٠٦هـ.
- المصطلحات الدعوية: تعريفات ومفاهيم، د عبد الله بن محمد المجلي ، بحث علمي محكم ومنشور بالعدد الأول من مجلة الدراسات الدعوية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، محرم ١٤٢٩ هـ.
- مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، للشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط السادسة ٢٠٠٥ م.
- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي ، مكتبة لبنان ، بيروت .
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، الشيخ عدنان بن محمد العرعور، بحث فائز جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ط الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م.
- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ علي محفوظ، دار الاعتصام، القاهرة، ط الخامسة ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م .

- يسألونك في الدين والحياة، د. أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت، ط الثانية ١٩٨٠ م.

المواقع الإلكترونية:

- موقع إسلام ويب.
- موقع الدرر السنية.